الصيّادان الصغيران

قصة ورسم:
يوسف عبدلكي

دار شهرزاد

سلسلة حكايات وألوان

الصيادان الصغيران

دار شهرزاد

دار شهرزاد

تطلب من
دار العلم للملايين
مؤسسة نوفل

سلسلة حكايات وألوان

ل دار شهرزاد ش. م. م.
ص. ب. ٢١٦١ أو ص. ب. ١٠٨٥
بيروت. لبنان

سلسلة حكايات وألوان

الصيّادان الصغيران

قصة ورسم:
يوسف عبدلكي

دار شهرزاد

عاشَ في إِحْدى الْقُرى السّاحِلِيَّةِ صَيّادانِ صَغيرانِ هُما (صَفْوان) و (غَيْران).

كانَ صَفْوانُ يَمْلِكُ مَرْكَباً جَميلاً أَحْمَرَ اللَّوْنِ، قَدْ رُصِفَتْ أَخْشابُهُ بِعِنايَةٍ، وأُلْصِقَتْ بِبَعْضِها بِدِقَّة.

وكانَ غيرانُ يَمْلِكُ مَرْكَباً عَتيقاً، قَدِ ٱهْتَرَأَتْ أَخْشابُهُ، وَتَغَيَّرَتْ أَلْوانُهُ، لِذلِكَ كانَ شَديدَ ٱلْغَيْرَةِ مِنْ صَفْوانَ وَمِنْ مَرْكَبِهِ الْجَميل.

فِي أَيّامِ ٱلْعُطَلِ وَٱلْأَعْيادِ كانَ صفوانُ يَدْعو أَهْلَهُ لِلْقيامِ بِنُزْهَةٍ عَلى مَرْكَبِهِ. وَخِلالَ ٱلرِّحْلَةِ كانَ يَصْطادُ السَّمَكَ ٱلْجَميلَ بِصِنّارَتِهِ ذاتِ ٱلْخَيْطِ الطَّويلِ، في حينٍ تَتَسَلّى أُخْتُهُ بِإِلْقاءِ فُتاتِ ٱلْخُبْزِ لِلْأَسْماكِ ٱلصَّغيرَةِ الّتي تَتَلاحَقُ خَلْفَ ٱلْمَرْكَبِ.

وَفي ٱلْمَساءِ، عِنْدَما تَعودُ ٱلْأُسْرَةُ إِلى ٱلْبَيْتِ، كانَ صفوانُ لا يَنْسى السَّمَكَ الَّذي ٱصْطادَهُ بِصِنّارَتِهِ، فَهُوَ لَيْسَ لِلْأَكْلِ، بَلْ يَحْتَفِظُ بِهِ حَيًّا في إِناءٍ زُجاجِيٍّ أَعَدَّهُ في ٱلْبَيْتِ لِهذِهِ ٱلْغايَةِ.

وكانَ والِدُ صفوانَ قَدْ أَهْداهُ كِتاباً مُلَوّناً يَحْكي عَنِ ٱلْأَسْماكِ وَأَشْهَر أَنْواعِها وَأَجْناسِها، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ يَدْرُسُهُ حَتّى باتَ يَعْرِفُ حَياةَ ٱلْأَسْماكِ وَأَنْواعَها وَٱلْبِحارِ أَوِ ٱلْأَنْهارَ الَّتي تَعيشُ فيها.

كانَ صفوانُ يَعْمَلُ في صَيْدِ السَّمَكِ بِهِمَّةٍ وَنَشاطٍ، فَيَخْرُجُ في الصَّباحِ ٱلْباكِرِ إلى ٱلْبَحْرِ، ثُمَّ يعودُ في ٱلْمَساءِ إلى السّوقِ لِيَبيعَ ٱلْأَسْماكَ الَّتي اصْطادَها إلى (أبو عبدو) صاحِبِ دُكّانِ السَّمَكِ، ثُمَّ يَحْمِلُ نُقودَهُ وَيَعودُ بِها إلى ٱلْبَيْت.

أَمّا غيرانُ فَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطيعُ أنْ يَصْطادَ كَثيراً مِنَ السَّمَكِ مِثْلَ صفوانَ لِأَنَّ شَبَكَتَهُ مُهْتَرِئَةٌ لا يَلْبَثُ السَّمَكُ أنْ يَهْرُبَ مِنْها بَعْدَ أنْ يَأْكُلَ الطُّعْم.

كانَ صَفْوانُ يَرى صَديقَهُ غيرانَ حَزيناً كَئيباً في أَكْثَرِ ٱلْأَحْيانِ، فيَعْلَمُ سَبَبَ حُزْنِهِ وكآبَتِهِ، فَيَتَقَدَّمُ مِنْهُ وَيُحاوِلُ نُصْحَهُ لِلاعْتِناءِ بِمَرْكَبِهِ وَتَثْبيتِ أَخْشابِهِ وَتَصْليحِ شِباكِهِ، حَتّى يَسْتَطيعَ أَنْ يُبْحِرَ إلى مَسافَةٍ بَعيدَةٍ في ٱلْبَحْرِ، فَيَحْصَلَ بِذلِكَ عَلى سَمَكٍ وَفيرٍ فَيَبيعَهُ وَيَرْبَحَ فيهِ الرِّبْحَ ٱلْوَفير.

لَكِنَّ غيرانَ كانَ يَصْمُتُ وَلا يُجيبُ، لِأَنَّ قَلْبَهُ يَمْتَلِئُ بِالْحَسَدِ مِنْ صفوان.

في إِحْدى اللَّيالي، تَسَلَّلَ شَبَحٌ أَسْوَدُ إلى الشّاطِـئِ وَسارَ بِاحْتِراسٍ بَيْنَ الصُّخورِ والشِّباكِ ٱلْمُعَلَّقَةِ.

وَلَمّا اقْتَرَبَ مِنْ مَرْكَبِ صفوانَ تَناوَلَ آلَةً حَديدِيَّةً كانَ يَحْمِلُها في يَدِهِ وَراحَ يُمْعِنُ فيهِ ثَقْباً مِنْ جَميعِ جِهاتِهِ.

فَعَلَ الشَّبَحُ فِعْلَتَهُ ٱلْمُنْكَرَةَ هذِهِ ثُمَّ عادَ مُتَسَلِّلاً كَما جاءَ، وَتَرَكَ وَراءَهُ مَرْكَبَ صفوانَ لا يَصْلُحُ لِلصَّيْدِ وَلا لِلنُّزْهَةِ.

في الصَّباحِ ٱلْباكِرِ، ذَهَبَ صفوانُ كَعادَتِهِ إلى شاطِئِ ٱلْبَحْرِ، وَلَمّا ٱقْتَرَبَ مِنْ مَرْكَبِهِ أَصابَهُ الذُّهولُ مِنْ هَوْلِ ما رَأى... لَقَدْ رَأى مَرْكَبَهُ مَثْقوباً مُحَطَّماً في كَثيرٍ مِنْ جَوانِبِهِ، فَجَلَسَ عَلى صَخْرَةٍ قَريبَةٍ، حَزيناً يائِساً، يَلومُ ٱلْأَشْرارَ ٱلَّذينَ يوقِعونَ ٱلْأَذى بِالنّاس.

في هذِهِ ٱلْأَثْناءِ كانَ غيرانُ يُبْحِرُ في مَرْكَبِهِ مُبْتَعِداً عَنِ الشّاطِئِ، وَهُوَ يُمَنّي نَفْسَهُ بِالصَّيْدِ ٱلْوَفير... إنَّ مَرْكَبَ صفوانَ مَعْطوبٌ.. يا لَلْفَرْحَة.

لَمْ يَنْتَظِرْ صفوانُ طَويلاً بَلْ أَسْرَعَ وَجَلَبَ بَعْضَ ٱلْأَدَواتِ وَالدِّهانِ، ثُمَّ قَلَبَ مَرْكَبَهُ وَأَخَذَ يُصْلِحُ ثُقوبَهُ بِعنايَةٍ، فَكانَ يَضَعُ رُقْعَةً خَشَبِيَّةً فَوْقَ أَحَدِ الثُّقوبِ ثُمَّ يُثَبِّتُها بِمَساميرَ طَويلَةٍ. وَعِنْدَما يَنْتَهي مِنْ ذَلِكَ يَدْهُنُها بِاللَّوْنِ ٱلْأَحْمَرِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إلى الثَّقْبِ ٱلْآخَرِ.. حَتّى أَشْرَفَ عَلى ٱلْاَنْتِهاءِ.

وَفَجْأَةً تَلَبَّدَتِ السَّماءُ بِالْغُيومِ مُنْذِرَةً بِهُبوبِ عاصِفَةٍ هَوْجاءَ، وارْتَفَعَ مَوْجُ ٱلْبَحْرِ رويْداً رويْداً.

وَخِلالَ بُرْهَةٍ وَجيزَةٍ هَبَّتْ رياحٌ عاصِفَة،
فَهاجَ ٱلْبَحْرُ وَٱرْتَفَعَ مَوْجُهُ ٱرْتِفاعاً كَبيراً،
وَأَخَذَتِ الرِّياحُ تُزَمْجِرُ بِصَوْتٍ مُخيف.

وَهكَذا وَجَدَ غيرانُ نَفْسَهُ وَحيداً وَسَطَ
ٱلْأَمْواجِ ٱلْعاتِيَةِ، وَلَمْ يَتَحَمَّلْ مَرْكَبُهُ قُوَّةَ
ٱلْعاصِفَةِ، فَتَحَطَّمَ وَراحَتْ أَخْشابُهُ تَتَطايَرُ في
ٱلْهَواء، ثُمَّ حَمَلَتْهُ مَوْجَةٌ كَبيرَةٌ وَأَلْقَتْ بِهِ
بَعيداً عَنْ مَرْكَبِهِ ٱلْمُحَطَّم.

رَأى صفوانُ هـذهِ ٱلْعاصِفَةَ ٱلْمُخيفَةَ
فَأَدْرَكَ أَنَّ مَرْكَبَ غيران لَنْ يَتَحَمَّلَها ، فَدَفَعَ
مَرْكَبَهُ فَوْراً إلى ٱلْماءِ ، وَمَضى يَشُقُّ بِهِ ٱلْأَمْواجَ

بِمَهارَةٍ فائِقَةٍ ضارِباً ٱلْماءَ بِمِجْذافَيْهِ ، حَتّى
بَـدَأَتْ أَخْشابُ ٱلْمَرْكَـبِ ٱلْمُحَطَّمِ تَظْهَرُ
واحِدَةً بَعْدَ ٱلْأُخْرى ، فَأَدْرَكَ أَنَّ غيرانَ لا بُدَّ
أَنْ يَكون غَيْرَ بَعيدٍ عَنْهُ ، فَراحَ يَبْحَثُ عَنْهُ
في كُلِّ اتِّجاه .

ٱلنَّجْـدَةَ!.. ٱلنَّجْدَةَ!... سَمِعَ صفوانُ صَرَخاتِ ٱلْاسْتِغاثَةِ هَذِهِ يُطْلِقُها غيرانٌ وَهُوَ يَتَخَبَّطُ وَسَطَ ٱلْأَمْواجِ فَأَسْرَعَ نَحْوَهُ، وَلَمّا هَمَّ بِالْتِقاطِهِ إذا بِمَوْجَةٍ هائِلَةٍ تَصْدِمُ الْمَرْكَبَ وَتُبْعِدُهُ عَنْ غيرانَ مَسافَةً بَعيدة.

أَعادَ صَفْوانُ الكَرَّةَ وَٱقْتَرَبَ مِنْ غيرانَ حَتَّى صارَ قَريباً مِنْهُ فَمَدَّ يَدَيْهِ وَٱنْتَشَلَهُ بِقُوَّةٍ وَوَضَعَهُ بِرِفْقٍ عَلى أَرْضِ الْمَرْكَبِ، ثُمَّ عادَ يُجَذِّفُ بِمَهارَةٍ لِلْعَوْدَةِ إِلى الشّاطِىء.

أَخيراً، وَصَلَ صفوانُ بِمَرْكَبِهِ إلى ٱلْبَرِّ سالِماً، بَعْدَ عَناءٍ وَجُهْدٍ كَبيرَيْن. وكانَ غيرانُ

قَدْ عادَ إلى وَعْيِهِ، فَجَلَسَ حَزيناً كَئيباً.

قالَ لَهُ صفوانُ: حَمْداً لِلَّهِ عَلى سَلامَتِكَ.. مالي أَراكَ حَزيناً؟..

أَجابَ غيرانُ بِصَوْتٍ خافِتٍ كَمَنْ يُؤَنِّبُهُ ضَميرُهُ: ٱلْعَفْوَ يا صفوانُ، لَقَدْ أَخْطَأْتُ بِحَقِّكَ وأَرْجوكَ أَنْ تُسامِحَني. لَقَدْ دَفَعَني حَسَدي مِنْكَ إلى تَحْطيمِ مَرْكَبِكَ لَيْلَةَ ٱلْبارِحَةِ، فَإِذا بِكَ تُنْقِذُني مِنَ ٱلْمَوْتِ صَباحَ ٱلْيَوْمِ.. إِنَّكَ إِنْسانٌ طَيِّبٌ.

ثُمَّ قامَ غيرانُ يَرْكُضُ باكِياً نَحْوَ ٱلْبَيْتِ دونَ أَنْ يَسْمَعَ جَوابَ صفوانَ ٱلَّذي أَصابَهُ الذُّهولُ عِنْدَ سَماعِهِ كَلامَ غيران.

في الصَّباحِ عادَ غيرانُ إلى الشّاطِئِ
وَأَخَذَ يُحاوِلُ جَمْعَ أَخْشابِ مَرْكَبِهِ الَّتي أَلْقَتْها
ٱلْأَمْواجُ عَلى الشّاطِئِ .
كانَ صفوانُ يُراقِبُهُ، وَيَعْرِفُ مَدى نَدَمِهِ،
فَٱقْتَرَبَ مِنْهُ وَصافَحَهُ وَسامَحَهُ .

فَرِحَ غيرانُ كَثيراً وَوَعَدَهُ أَنْ يَكونَ وَفِيًّا
لَهُ مَدى ٱلْعُمُرِ .

ثُمَّ ما لَبِثَ ٱلصَّديقانِ صفوانُ
وغيرانُ أَنْ تعاوَنا في جَلْبِ
بَعْضِ ٱلْأَدَواتِ وَأَخَذا
يُصَلِّحانِ ٱلْمَرْكَبَ:
غيرانُ يَدُقُّ ٱلْمَساميرَ،

وصفوانُ يَدْهُنُـــــهُ بِاللَّوْنِ ٱلْأَزْرَقِ، وَهُما
يَضْحَكانِ وَيَتَحَدَّثانِ عَنْ ذِكْرَياتِهِما
ٱلْحُلْوَةِ وعَزْمِهِما عَلى
ٱلْبَقاءِ صَديقَيْنِ
وَفِيَّيْنِ دائِماً.